من أوراق الرئيس (22)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

في بني غازي فقط..

تأكد عبد الناصر أن القذافي مجنون!

كان الرئيس السادات قد أحس بضرورة أن يواجه الناس وأن يرد على تساؤلاتهم. وعلى شكوكهم التى استبدت بهم.. فقطع مصر من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال. يناقش ويوضح. وكان هدفه واحداً: ألا ينسى الناس ما عمله جمال عبد الناصر لمصر. وإذا كانت النكسة قد أغرقته. فليست هذه نهاية العالم. فالطريق طويل. ويجب أن نترفق بجسمه المريض وعقله المرهق. وأن نقف وراءه لنرفع معنوياته. ونرد إليه اعتباره ليمضى بناء إلى مستقبلنا الأفضل.

ولكن مراكز القوى لا تريد ذلك.. لا تريد إلا التشكيك فى قدرته، والتهوين من إنجازاته، والمبالغة فى نكسته..ألا يقف وراءه أحد –أنور السادات مثلاً– ولذلك حرصت مراكز القوى على أن تدس بين صفوف المؤتمرات التى يعقدها أنور السادات أناساً يتحدونه ويحرجونه.. ولم تنفع هذه الحيلة.

وقبل ذلك حاولوا أن يحرجوه مع الطلبة الذين استدعاهم إلى مجلس الشعب وأعادهم إلى بيوتهم. وأمنهم. ولكن مراكز القوى ألقت القبض عليهم.. حتى لا يكون لرأيه وزن أو للمجلس الذى يرأسه.

المهم هو أن ينالوا منه شخصياً!.

ومراكز القوى فى مصر مرتبطة بالعقيد الليبى الذى يتلقى المشورة والنصح من مستشار له فى القاهرة حتى اليوم، ويعتمد أيضاً على الحاقدين من كل العناصر.. بما فى ذلك وزيرة مصرية فاشلة تدعى زعامة الشباب الجديد هناك.. وغيرها يعملون على تضليل

الشباب بينما يعيشون حياة البذخ والرفاهية، ويتسترون وراء الشعارات الوهمية الكاذبة. ولكن جريمتهم لا تغتفر. ولابد من محاسبتهم عليها.. جريمة تخريب عقول الشباب وجريمة تخريب مصر..

ثم انكشف القذافى أمام عبد الناصر فى بنى غازى..

وانكشف مرة أخرى فى مؤتمر القمة فى القاهرة.. وظهرت حالته المرضية أوضح من أى وقت.. ومن هنا كانت خطورة مثل هذا (الشخص): يملك الفلوس التى يشترى بها الأيدى السلاح معاً.

وهو أيضاً لن يفلت من الحساب.. والقصة مع شذوذه وجنونه طويلة..

كان من عادة مراكز القوى أن يضعوا فى كل اجتماع من اجتماعاتى شخصاً يتقدم بسؤال يحرجنى.. أو واحداً يقوم بتحطيم الفوانيس كما يحدث فى الريف والغرض من ذلك هو أن يفسد الجو.. أو ينقلب الفرح مأتماً..

وكذلك حاولوا أن يقلبوا النجاح الذى حققته هذه الندوات، إلى فشل.. إلى خناقة.. إلى هيصة تضيع فيها المعانى التى حرصت على أن أوضحها للناس.. فقد كانت مراكز القوى مشغولة يضرب جمال عبد الناصر والثورة، منتهزة الظروف العامة للبلد والظروف الخاصة لجمال عبد الناصر..

وقد رأوا فى هذه اللقاءات ومعانى أخرى لم تكن فى حسابى.. فهم يتعجلون النهاية. ويريدون أن يجعلوا الثورة على الجمال عبد الناصر عامة.. ويريدون أن يعمقوا الشعور بالضيق.. فإذا شعر الناس بالضيق، ثاروا عليه يتعجلون الخلاص والنهاية.. ومتى يشعر الناس بذلك فإنهم فى مصر وبعد ذلك فى ليبيا يقفزون على الحكم.. وكان ولا يزال هذا الارتباط وثيقاً بين ورثة جمال عبد الناصر – أدعياء الحق الإلهى فى وراثة جمال عبد الناصر..

وليس القذافى إلا واحداً منهم، أو ضحية لواحد منهم..

ولكن أهل أسيوط ضاقوا بهذا الشخص المدسوس على الاجتماع. وامسكوه.. انتقلت أنا بعد المؤتمر إلى استراحة المحافظ، وكان المحافظ ممدوح سالم فى ذلك الوقت. الاستراحة فخمة ضخمة. وفى مصر عشرات مثلها يقيم فيها مفتشو الرى وانشغل الناس بهذا السؤال الغريب السخيف.. لا أذكر السؤال بالضبط. ولكنه كان يتحدث عن جمال عبد الناصر والدكتاتورية وحكم الفرد. وكان الغرض من مثل هذا السؤال، أبعد وأعمق من مجرد ملاحظة على شكل الحكم. وإنما كان تمزيق الناس والإمعان فى حريتهم واضطرابهم لكى تحدث فتنة فى مصر.

ومرة أخرى حدث نفس الشيء ولنفس السبب. ففى اجتماعى بأساتذة الجامعات الخمس فى القاهرة كانت ندوة مفيدة وممتعة وناجحة أيضاً. أناس يسألون بالعقل. وتجئ الإجابة بالعقل والمنطق. فالمستوى رفيع. وكل هذا مسجل ومعروف. ولكن مراكز القوى ما تزال نشطة وهى لا تريد أن يقف أحد وراء جمال عبد الناصر أو يسانده. وإنما المطلوب أن يتركوه ليسقط وحده.. وفى هذا الجو الجامعى الوقور فوجئنا بشخص يقف ويقول لى مستنكراً: لكنك تركب سيارة طولها ثمانية أمتار !.

وكان السؤال مفاجأة لكل أساتذة الجامعات. فليس من المعقول أن يصدر هذا السؤال أو الاستنكار عن أستاذ جامعى.. والجو كله لا يوحى بشيء من هذا الإسفاف. وهاجموه. ووقف أحد الأساتذة من الذين نظموا المؤتمر، وشكرنى وشكر الحاضرين وهنأنى وأنفسهم، على النجاح العظيم لهذا اللقاء الفكرى..

واكتشف الأساتذة أن هذا الشخص مدسوس على المؤتمر من أمين الاتحاد الاشتراكى بعابدين الذى كان واحداً من مراكز القوى.

وقبل ذلك لم ينس لى أصحاب مراكز القوى موقفى من الطلبة الذين أضربوا فى كلية الهندسة، وكنت وقتها رئيساً لمجلس الشعب. كان ذلك فى الشتاء. والجو بارد والطلبة مضربون عن الطعام. فأرسلت لهم الطعام والشاى واستدعيتهم وناقشتهم. ثم أعدتهم إلى بيوتهم وتعهدت لهم بأن شيئاً لن يصيبهم. وكان شعراوى جمعة وزير الداخلية قد حاصرهم وأطلق عليهم

القنابل المسيلة للدموع. ولكنى عاتبتهم كيف يفعلون كل ذلك بجمال عبد الناصر. وقلت: إننا فى حاجة إلى التضامن الجديد، وأن نجد الأعذار لأنفسنا ولغيرنا. وإننا يجب أن ننهض من عثرتنا وأن نستأنف المسيرة. وإنهم شباب وإن الطريق أمامهم طويل. وإن المستقبل لهم.. وإنهم يجب أن يفعلوا بالضبط ما يشجع جمال عبد الناصر على أن يمضى فى مشواره الصعب..

وتعهدت لهم بأن يكونوا فى أمان من أى سوء .. وخرجوا سعداء من مجلس الشعب. ولكن شعراوى جمعة عاد فقبض عليهم.

والمعنى: هو ألا يكون لى رأى. وإذا كان لى رأى، ألا يكون لهذا الرأى أى وزن.. أو أية قيمة..

والمعنى أيضاً: أنه لا أنا كرئيس مجلس الشعب ولا مجلس الشعب له قيمة!..

ولم أنتبه إلى كل هذه التصرفات.. ولا أدركت أن خيطاً واحداً يربط بينهما. وأن هذا الخيط فى أيدى أناس يقفون فى ظل جمال عبد الناصر..

بينما أنا مشغول تماماً بمواجهة الناس وتبديد الشائعات التى ملأوا بها مصر فى ذلك الوقت. والتى تزداد أصداؤها وتتضخم فى كل البلاد العربية. فقد كنت مشغولاً تماماً بتغطية مرض جمال عبد الناصر وخطورته على صحته، والخوف من أن تصاب مصر هى الأخرى، أعنف مما أصيب هو أيضاً..

ولم أكن أدرى أن جمال عبد الناصر يتابع كل ما أقوله. وهذه عادة فيه. ولنى أختلف عنه فأنا مثلاً عندما أكلف حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية بمهمة فإننى أنتظره حتى يجئ فيحدثنى عن الذى قاله أو الذى أنجزه. ولكن جمال عبد الناصر كان حريصاً على أن تجئ إليه التقارير أولاً بأول، دقيقة بدقيقة. فتكون لديه صورة مفصلة عن كل الذى جرى. هذا طبع فيه..

وفوجئت قبل سفر جمال عبد الناصر إلى مؤتمر القمة فى الرباط بأنه يفاتحنى فى أن أكون نائباً لرئيس الجمهورية.

ولكنى أيامها قلت له: أنا لا يهمنى الاسم، وإنما الذى يهمنى أن أقف إلى جوارك.. وأنا قد ذهبت إلى المؤتمر الإسلامى نيابة عنك ولم أكن نائباً لرئيس الجمهورية ولا حتى رئيساً لمجلس الشعب..

فقد انحل مجلس الشعب.. وكنت فقط عضواً فى اللجنة العليا المكونة من عشرة أعضاء.

وأكدت لجمال عبد الناصر، حقاً وصدقاً، أننى لست فى حاجة إلى أى شيء فقد كنت أعرف أزمة جمال عبد الناصر منذ سنة 67 وأعرف جيداً عمق الجرح الذى أصابه من مأساة عبد الحكيم عامر.. وكان عبد الحكيم عامر أعز الأصدقاء. وقد فصلنا دستوراً ليكون النائب الأول لرئيس الجمهورية ليحل محله. إذا أصابه مكروه.. ولكن إرادة الله فوق كل شئ. فقد كنا ندبر، وكان لله تدبير آخر! وإذا حاول الإنسان أن يجعل من نفسه قضاء وقدراً، فإنه ينسى أن هناك حكمة أحكم وأعظم هى التى تحرك القضاء والقدر والإنسان.. ثم إنه لا يصح إلا الصحيح..

ولا يمكن أن يحل أحد محل عبد الحكيم عامر فى قلب جمال عبد الناصر.. وقد كنت صديقاً لجمال عبد الناصر ولكن صداقته لعبد الحكيم عامر كانت أقوى وأعمق. يومها قلت لجمال عبد الناصر: أنا لا أريد شيئاً. ولكنه أصر.

فقلت له: هل طلبت منك شيئاً قط؟

قال: عمرك ما فعلت ذلك.

- إذن ما الذى يدفعك إلى هذا القرار؟

- أراه ضرورياً..

قلت : إذن اجعلنى مستشاراً لرئيس الجمهورية.

فضحك كثيراً. وأصر على أن أكون نائباً لرئيس الجمهورية. وكانت علاقتى بجمال عبد الناصر هى علاقة الصديق. أقول له رأيى وأنصحه. ولا أذهب إلى أبعد من ذلك.. بينما

آخرون كانوا يشهرون به وينقدونه بعنف. ولكن كنت أقول الرأى واستريح إلى ذلك. وقد تمضى الأيام لا يتصل بى. وكان بعض أصدقائى يتساءلون: ما الذى بينك وبين جمال عبد الناصر.. إنه لم ينصفك تماماً كما فعل للآخرين؟

ولكنى كنت أرى الصورة على نحو آخر. فأنا الرجل الثانى. وهذا يكفى. ويجب أن يدرك الإنسان الأمور بوضوح. وأن يعرف حدود الكلام وحدود الفعل. وأن يبين لنفسه أى نوع من الرجال جمال عبد الناصر. وأية ظروف يعيشها ويمر بها. ثم يجب أن يعرف ماضى جمال عبد الناصر والأزمات التى مرت به، ويتخذ منها وسيلة لتفسير سلوكه ونتائج هذا السلوك.. وكنت أعرف الحدود بوضوح..

ولذلك لم أوافق على أن أكون نائباً لرئيس الجمهورية. ولكنه كان قد قرر ذلك..

وقبل ذلك كان الفتى الأول لمراكز القوى على صبرى قد أفتضح أمره فى مطار القاهرة. فقد أتى معه من موسكو بحقائب كثيرة يريد أن يدخلها دون أن تمر على الجمارك، ونشرت القصة بما تستحقه من التشهير الشديد والشماتة العنيفة.. فسقط على صبرى جماهيرياً.. تماماً كما فعلت به بعد ذلك يوم 2 مايو 1971، عندما قررت عزله فقد جاء هذا القرار شعبياً، استراح له الناس جميعاً.

إلى أن كان جمال عبد الناصر يوم 20 ديسمبر.. وكان من عادتنا أن تذهب إلى بيته وأن نرافقه إلى المطار فذهبت ومعى حسين الشافعى إلى بيت جمال عبد الناصر. وفى الصالون سألنى : معك صيغة القسم؟

قلت : نعم.

قال: قف وأحلف يمين نائب رئيس الجمهورية.

وفى ثلاث ثوان خلفت اليمين وأصبحت نائباً لرئيس الجمهورية. وخرجنا. وأصدر جمال عبد الناصر تعليماته إلى سامى شرف بنشر الخبر والصورة ومكانها من الصفحات. وكان جمال عبد الناصر دقيقاً فى ذلك.

ولم يتسع الوقت من بيته إلى المطار أو فى المطار لمناقشة جمال عبد الناصر فى هذا القرار، وحتى بعد أن أصبحت نائباً لرئيس الجمهورية.

وسافر جمال عبد الناصر إلى الرباط. وفى عودته توقف فى ليبيا. وفى هذه الزيارة فى ديسمبر سنة 1969 حدث شئ جعل جمال عبد الناصر يتنبه فجأة إلى التكوين النفسى الحقيقى لمعمر القذافى. ولكنه هو شخصياً استطاع بحاسته أن يدرك ذلك. فقد سار موكب جمال عبد الناصر من مطار بنى غازى إلى قصر الضيافة فى أكثر من أربع ساعات ونصف ساعة. مع أن المسافة تقطعها السيارة عادة فى ثلث ساعة. ولم ينس معمر القذافى لأهل بنى غازى هذا الموقف ولا هذا الموكب أيضاً.

لقد أدرك جمال عبد الناصر أن القذافى يعانى من عقدة الزعامة. أى من عقدة أن يكون هناك زعيم آخر. فجمال عبد الناصر قد جعلته الأمة العربية زعيماً بعد موقفه المعروف من العدوان الثلاثى وتأميم قناة السويس فى 1956. فهو زعيم. ولذلك لديه هذه الفراسة أو هذه الحساسية بالزعامة.. أى لديه الإحساس بمن يرتضيه أو لا يرتضيه زعيماً. وأدرك بوضوح شديد أن هذه هى عقدة القذافى.

وإن كان جمال عبد الناصر لم يفصح عن هذه المعانى صراحة إلا قبل وفاته هو بشهور.

ولابد أن يتوقف المؤرخون وعلماء النفس أمام ظاهرة القذافى.. فهو يقول كلاماً، ويفعل شيئاً آخر.. وهو يدعى قداسة زعامة جمال عبد الناصر، وفى نفس الوقت يضيق بها، ويدعى أنه الوريث له ، ثم يشوه صورة جمال عبد الناصر وثورة يوليو.. وهو زاهد فى السلطة، ومجنون بها..

والمسافة شاسعة جداً بين الذى يقوله للناس ، وبين الذى يقوله لمن حوله.. الفارق كبير جداً بين صورته التى يرسمها "المستشار" الخاص والمضللون له، وبين صورته الحقيقية.. حتى هذه الصورة من الصعب التعرف عليها.. ولكن جمال عبدالناصر تعرف عليها .. مرة فى بنى غازى.. ومرة فى مؤتمر القمة الذى أنعقد فى القاهرة فى آخر أيام جمال عبد الناصر..

ولابد للمشتغلين بدراسة التاريخ النفسى للسادسة والحكام أن يجدوا فى القذافى صيداً سميناً ثميناً.. وأن يجددوا فيه حالة ممتعة.. تماماً كما يجد الأطباء حالة مرضية نادرة .. كأن يجدوا إنساناً له قلب على اليمين.. أو مولوداً بكية واحدة.. ولابد أن حالة القذافى سوف تدخل الأبواب الواسعة فى التاريخ والسياسة وعلم النفس نموذجاً صارخاً لهذه التركيبة الخطيرة: الجنون والسلطة المال فى يد واحدة..

والذى يدرسون علم النفس سوف يضعون القذافى تحت كلمة معروفة أسمها "شيزوفرانيا" أى انفصام الشخصية.. أو انفصال الشخصية أو ازدواجها. بمعناها أن يكون الإنسان شخصيتين فى وقت واحد .. ليكون شخصاً فى الليل –مثلاً– وشخصاً آخر فى النهار.. ولكن الشخصيتين لا تدرى كل منهما ما الذى فعله الأخرى..

وهذه الكلمة دخلت قواميس علماء النفس مع بداية لهذا القرن.. فهناك حادثة معروفة. حادثة القاضى شيربر، وهذا الرجل كان مجنوناً. دخل مستشفى الأمراض العقلية. مخرج منها. وظن الناس أنه شفى تماماً. فألف كتاباً عن حالته النفسي عنوانه "ذكريات عن حالتى العصبية" سنة 1902. وعندما عاد إلى عمله، لم يقو على مواجهة العمل والحياة ومرض زوجته الذى أودى بحياتها. فأصيب بالجنون مرة أخرى ودخل المستشفى.

التقط علماء النفس هذه الحالة وهذا الكتاب، وكما سوف يفعلون بمعمر القذافى ومجموعة خطبة وكتبه لتناقضه التى هى عينة ممتازة لهذا المرض الخطير. لأن صاحب هذا المرض لا يدرى أنه مريض. ولا يدرى أنه متناقض مع نفسه. ولا أنه حينما يكون منطقياً مع نفسه يكون كلامه نوعاً من الهلوسة المنظمة .. أو نوعاً من الجنون المنطقى!.

والمتفائلون يقولون إنه كان فى الإمكان إصلاح شئ من نفسية هذا الرجل المجنون. لولا هؤلاء الذين ينفخونه ليلاً ويسبحون بمجده نهاراً، ويعدون له حصاناً أبيض على حدود مصر ليدخلها فاتحاً غازياً .. فالطريق مفتوح لمسيرته من طرابلس إلى القاهرة لأن مصر قد خلت من الرجال، والرجال قد خلوا من الكبرياء، والفقر قد أعدم كرامة المصريين.. فليس على

القذافى وبطانته من الفاشلين والحاقدين وطلاب الأمجاد الضائعة إلا أن يدخلوا مصر وسوف يجدون كل شئ جاهزاً..

هكذا تصورت مراكز القوى حالة مصر ، وزينت للقذافى ذلك، وشجعته ووقفت تنتظر ولا تزال. ولا تزال هو أيضاً.

وهذا هو منتهى التضليل له، وللناس فى مصر وفى ليبيا، وخصوصاً الشباب وهم أكثر الناس حساسية.

وقد أستغل هؤلاء المضللون حساسية الشباب فوضعوا فى رءوسهم الآمال الكاذبة. وملأوا قلوبهم بالحقد على الناس وكل ما فى أيدى الناس من مال وسلطة ونعمة. فكل من يملك شيئاً قالوا لهم : إنه لص.. وكل من هو فى مركز : هو لص.. وكل ما هو ليس فى أيديهم يجب أن يكون فى جيوبهم.. وهى صورة بشعة للتخريب المتعمد لمصر وشباب مصر.. مع أن الذين يدعون هذه الفلسفة ويبيعون جمال عبدالناصر وتاريخه يعيشون حياة مترفة ويملكون مئات الألوف. ولكنهم لا يواجهون الشباب بهذه الحقيقة. وإنما يشهرون بغيرهم، ولا يكشفون أنفسهم. وهذا طبيعى. ولا يهمنا أن يضللوا القذافى. ولكن يهمنى ألا يضللوا مصر ويخدعوا شبابها وأملها ومستقبلها فتلك جريمة عظمى. ولابد من الحساب عليها.

وعندما تناقشت مع الشباب، وهذا معروفة للملايين، عن معنى الناصرية، وجدت أعظم إساءة للناصرية. وجدت أن مفهوم الناصرية عندهم: الاستبداد وحكم الفرد والمعتقلات ومصادرة الحريات والحراسة والخوف والفزع والرأى الواحد.. وجدت أناساً يخافون من الخلاف فى الرأى، ولكن لا يخافون من الصراع والفتنة وخراب مصر؟!..

وبقدر ما أحزننى ما رأيت وآلمنى، بقدر ما ارتحت إلى أن يكون هذا الفهم الخاطئ معلناً أمام الملايين وأن أجد الفرصة لتصحيحه.. مع أن هذه الأخطاء لا تحتاج إلى تصحيح. وإنما المقارنة وحدها تكفى للقضاء عليها.. فهل أنا محتاج إلى أن أقول: إن الأمن والأمان أعظم من الخوف والرعب؟ هل أنا محتاج إلى منطق عظيم لكى أقول: إن الحرية أروع من الكبت؟ وأن الأمل فى مستقبل أفضل. أحسن من اليأس من أى مستقبل؟.

وأن الاتجاه إلى الغد، أكثر إيجابية من البكاء على الماضى.. هل أنا محتاج إلى حكمة الإنسانية كلها لكى أقول للناس إننى اخترت الديمقراطية شكلاً وهدفاً للحكم، أى أن يحكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه، وأن يعبر عن أى رأى بلا خوف من الخلاف والاختلاف، إننى اخترت ذلك بديلاً عن رأى الكاتب الواحد والمفكر الواحد والمستشار الواحد، وكل ذلك قد جربناه وعانينا منه. ولكن الناس ينسون، والشباب وهم أكثر الناس حساسية ونبلاً، يسهل التأثير على بعضهم. مهما كان هذا البعض قليلاً، فإن هذا لا يقلل من فداحة جريمة تضليلهم وإفسادهم على أمتهم..

وكل هذه خطوط وظلال فى صورة الوريث الأوحد لثورة يوليو.. وتلك صورته التى يتطلع إليها ويصدقها. دون أن يميز بين الذين يضحون عليه ويستغلونه، استئنافاً واستدراكاً لمجد زائل لن يعود..

ولكن القذافى بجنون، وهم بشرهم يلتقون معاً على هدف واحد: تخريب مصر وتشويه صورتها والحقد عليها..

ولذلك كانت أفكاره الغريبة عن "الوحدة الاندماجية" التى رفضها جمال عبدالناصر، خصوصاً بمد تجربة الوحدة مع سوريا.. فقد كان عبد الناصر يرى أن الواحدة الاندماجية تنطوى على حساسيات شديدة.. أو أنها تتجاهل وجود هذه الحساسيات. وهذا التجاهل يشعلها ويدفعها إلى السطح مما يؤدى إلى نسف هذه الوحدة..

فى طرابلس التقى جمال عبد الناصر. وجعفر نميرى والقذافى وأصدروا بيان طرابلس الذى جاء فيه أن اجتماع القادة الثلاثة ضرورة تاريخية فرضها قيام الثروات فى كل من السودان وليبيا لتلتقى بالثورة المصرية الرائدة انطلاقاً من أن قيادة هذه الثورات الشعبية قد حقق تحالفاً ثورياً وثيقاً يرتبط جذرياً وروحياً بحركة النضال الشعبى العربى وتطلعاته إلى هزيمة مخططات الاستعمار الحديث والصهيونية ووصولاً إلى تحقيق التغيير الاجتماعى والتقدم والاشتراكية لمصلحة الجماهير العربية الأمر الذى يوفر الشروط الموضوعية لتحقيق الوحدة العربية أمل امتناً المناضلة كان لقاء القادة الثلاثة على درب الثورة العربية طبيعياً ومنطقياً بل

حتمياً نتيجة سقوط الأنظمة الرجعية فى الأقطار الثلاثة. إنه تحالف تهيأت له كـل الظـروف الموضوعية والتاريخية التى صنعتها شعوبنا بالتضحيات الجسام وبالنضال المشترك الذى شقته شعوبنا حتى هزيمة الاستعمار والرجعية وفتحت الباب واسعاً لتحقيق آمال أمتنـاً وتطلعاتهـا الغالية فى التقدم والنهضة الاجتماعية.

وجاء فى البيان أن القادة وهم يجتمعون فى ليبيا الثورة التى تمكنـت بفضـل ثورتهـا ونضال وتصميم طلائعها الثورة من تصفية القواعد العسكرية الأجنبية يؤكدون أن لقاءهم يوسع جبهتنا القتالية فى وجه العدو الذى يدنس أرضنا وبه يتسع ميدان النضال ضده من القاهرة إلى طرابلس إلى الخرطوم حيث تحشد وتكثف كافة الطاقات والإمكانيات وهى كثيرة وصولاً إلـى النصر وردعاً للعدوان وتحريراً للأرض العربية.

ويرى الرؤساء أن مسئولية مواجهة التحديات الصهيونية والاعتداءات الإسرائيلية هـى مسئولية مشتركة يجب أن تسهم فيها كافة الدول العربية ولذا فمن الواجب والضرورى مواصلة الجهود من أجل حشد كافة الطاقات العربية لخوض المعركة المصـيرية التـى توجـه الأمـة العربية.

وقيل أن القادة العرب الثلاثة وضعوا أمامهم كل هذا مؤكدين أهمية العمل الموحد تحقيقاً لأهدافهم المشتركة بما يعود بالرفاهية والمنفعة المتبادلة على شعوب البلدان الثلاثة وعلى الأمة العربية.

ولذلك قرروا:

أولاً : عقد اجتماعات دورية للرؤساء الثلاثة كل أربعة أشهر لمتابعة تحقيق الأهداف التى اختاروها لشعوبهم والمبادئ المعلنة لثوراتهم والأمانى والتطلعات لأمتهم العربية المجيدة فى الحرية والاشتراكية والوحدة.

ثانياً: إنشاء لجان مشتركة فى كافة المجالات لوضع الأسس الكفيلة بتحقيق التعـاون والتكامـل بين الأقطار الثلاثة مما يعود بالمنفعة المتبادلة لشعوبهم.

وكان جمال عبد الناصر يطمع فى أن تكون هناك أشكال أفضل للوحدة..

كما حدث بعد ذلك مع سوريا ومع ليبيا ومع السودان.. إنها أنواع من التنسيق الأعلى لكل العلاقات التى تقرب بيننا وتشد أزرنا فى مواجهة مشاكلنا القومية والدولية..

وكما أشرت من قبل إلى أن هناك مواقف تبعث على الضحك فى سلوك القذافى. وإن كنت أغالب الضحك لأن سلوك القذافى ليس سلوكاً فردياً بحتاً، وإنما هو سلوك فرد ينعكس على موقف دولته.. فهو متسلط بشذوذه على الشعب الليبى الذى هو ضحية له.. والأمثلة على ذلك كثيرة كما سنرى..

مثلاً.. وهذا مثل فقط. كنا فى شم النسيم من ستة 1970 وفجأة اتصل بى جمال عبد الناصر يقول:

مفاجأة!.

قلت: خير؟.

قال: إنه فى سماء القاهرة!.

قلت: من؟

قال: القذافى!.

وقلت: يوم شم النسيم... فى هذه الإجازة العارضة.

وماذا يريد؟

قال: لا أعرف.

قلت: والعمل؟

قال: لابد أن تقابله..

فى يوم شم النسيم.. وكل إنسان يجلس مع أسرته وبين أولاده يشم الهواء.. يوم راحة. يوم إجازة قصيرة جاء معمر القذافى إلى القاهرة. ولم يكن هناك شئ عاجل. بل كان فى استطاعته أن يجئ يوم الثلاثاء أو الأربعاء.

ولكن لابد أن يأتى بشيء شاذ.. أن يأتى يوم الإجازة. أن يخرج عندما يدخل الناس.. أن يقف عندما يجلس الناس.. أن يغم الناس عندما يكون الواجب أن يدخل عليهم السرور.. أن يضيق بحفاوة أهل بنى غازى بجمال عبد الناصر، الذى يدعى أنه مثله الأعلى، أى الصورة التى يجب أن تظل حية أمامه، وفى نفس الوقت أن يتعجل موت جمال عبد الناصر ليحشر جسمه الهزيل فى ملابسه، وقدميه فى حذائه، ويتربع على عرش مصر وليبيا.. وبلاد أخرى يحلم بها!..

وفى مؤتمر القمة الذى أنعقد فى القاهرة بعد ذلك رأينا العجب..

فى أوائل سبتمبر سنة 1970 حدثت معارك "أيلول" بين المقاومة الفلسطينية والأردن. مما دفع جمال عبد الناصر إلى عقد مؤتمر قمة فى القاهرة لوقف نزيف الدم. وكان هذا المؤتمر خاصاً بالملوك والرؤساء. وقد حضرت هذا المؤتمر بوصفى نائباً لرئيس الجمهورية، ولازمته فى كل اجتماعاته حتى اجتماعات الملوك والرؤساء السرية أيضاً..

فى ذلك الوقت كان جمال عبد الناصر قد طلب عشرين مليوناً من الجنيهات ليسدد بها التزامات على مصر. من بين هذه الملايين العشرين.. عشرة الملايين الباقية على ليبيا، والتى قررها الملك السنوسى.

وهنا – وكانت المفاجأة– انطلق القذافى وتهجم على الملك فيصل وعلى أمير الكويت.

وتلقى الملك فيصل هذا الهجوم العنيف وهو يتطلع إلى وجوه الملوك والرؤساء كأنه يشهدهم على ذلك. ولكنه فى نفس الوقت سأل القذافى وفى غاية الهدوء: كم تكون نسبة المعونة الليبية إلى الدخل الليبى؟

وكان الملك فيصل يقصد أن الذى تدفعه السعودية بالنسبة إلى دخلها وعدد سكانها، أكبر بكثير من المبلغ المفروض أن تدفعه..

ففى ذلك الوقت كان دخل البترول ضئيلاً إذا ما قورن بالدخل اليوم .. فقد كان سعر البرميل الواحد دولاراً وسنتاً واحداً.. بينما أرتفع سعر البترول فى أكتوبر 73 إلى 12 دولاراً للبرميل الواحد ثم زاد بعد ذلك..

وقال له الملك فيصل مرة أخرى وفى غاية الأدب: إذا عرفت هذه النسبة بين الدعم الليبى والدخل الليبى من البترول، وقارنتها بالدعم السعودى أو الكويتى، فسوف يكون لنا كلام بعد ذلك.

ومضى الذافى فى تهجمه على الملك فيصل الذى تلفت إلى جمال عبد الناصر يلوذ به من هذا الذى يحدث فى حضوره وفى مصر..

وكانت هذه الحالة التى أصابت القذافى هى بالضبط ما يحلم به علماء النفس: فقد وصل إلى حالة عدوانية مجنونة.. وتوالت كلماته على شكل هذيان لم نره من قبل..

وأكثر الذين صدموا فى القذافى كان جمال عبد الناصر. فلم يخطر على باله، ولا تصور أن يصل الجنون القذافى إلى هذه الحالة. والذى أفزعنا أكثر أن القذافى هو الوحيد الذى كان يحمل مسدساً.. وخشينا أن يتسلط عليه "جنون العظمة" فيطلق الرصاص على ضيوف مصر وقمة الأمة العربية..

وحتى ذلك الوقت كنت أتصور أن القذافى شاب متحمس. ولأنه متحمس فقد أثارته الدماء الفلسطينية التى أريقت فى الأردن.. وأنه لذلك غاضب من الملك حسين ومن الملوك ومن الأمراء – تمشياً مع (التصنيف الملعون) الذى يتهم كل الدول العربية البترولية بالرجعية والخيانة والتخلف.

والقذافى يحفظ هذا التصنيف ويردده، ولا يزال .. ولم أذهب فى تصورى إلى أبعد من أنه شاب متحمس جداً. ولكن ما الذى نفعله إذا تحولت الكلمات البذيئة النابية إلى طلقات رصاص؟.

ولحسن الحظ لم تنطلق رصاصة واحدة.. ولكن للأسف رصاصات أخرى صامتة انطلقت أسمها : النكسة وأزمة القلب ومأساة عبد الحكيم عامر وصدمة القذافى فأصابت جمال عبد الناصر ليموت فى نهاية المؤتمر.

فتتشنج كل أصابع الفتنة وتصحو عيون المؤامرة على مصر.